

Governance in the Qur'an and Sunnah

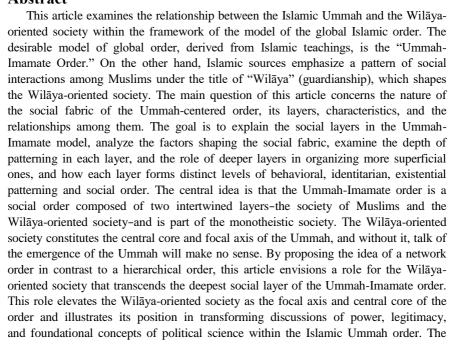
EISSN: 2981-1783

The Wilāya-Oriented Society and the Ummah-Centered Order (The Relationship Between the Islamic Ummah and the Wilāya-Oriented Society in the Model of the Global Islamic Order)

Mojtaba Abdkhodaei

Associate Professor, Department of International Relations, Faculty of Law and Political Science, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran. Abdkhodaei.mojtaba@gmail.com

Abstract



Cite this article: Abdkhodaei, M. (2025). The Wilāya-Oriented Society and the Ummah-Centered Order (The Relationship Between the Islamic Ummah and the Wilāya-Oriented Society in the Model of the Global Islamic Order). *Governance in the Qur'an and Sunnah*, 3(2), pp. 113-136. https://doi.org/10.22081/jgq.2025.73087.1053

Received: 2024-11-17 ; Revised: 2025-01-08 ; Accepted: 2025-02-15 ; Published online: 2025-04-10

©The author(s) Type of article: Research Article Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy



research method is analytical-deductive, and in citing Islamic sources, it employs valid and conventional methods of research in Islamic texts. The article is organized into two sections: the first section addresses the characteristics of the social layers, and the second section examines the position of the Wilāya-oriented society in transforming political concepts. In the first section, the monotheistic society is a space grounded in the shared belief in the centrality of justice and equity in social organization, which guarantees the rights of the entitled and values on the basis of the sacred. The Islamic society is formed within the monotheistic society and on the basis of explicating rights and values according to the Sharia and the Islamic methodology. This social fabric possesses a deeper essence than mere shared belief and creates an independent culture that is identity-forming. This stage of organization requires the determination of boundaries of self-sacrifice, the model of self and other, the model of friendship and enmity; in light of this, the Islamic society becomes capable of defining territorial and identitarian boundaries, strengthening solidarity against external forces, and preserving the independence and sovereignty of its domain. This capability provides the foundation for elevating the society-building of Muslims to believing Muslims and realizing the Wilāya-oriented society. Nevertheless, the society of Muslims is composed of a structure a portion of which lives in doubt and vacillation in thought, behavior, and faith. Therefore, realizing an order based on responsible collective inner commitment-which is the prerequisite for a network order-is difficult within it. Accordingly, it is organized on the basis of a hierarchical order and its requirements in realizing a system of obligation and obedience. The Wilāya-oriented society is the central point and deepest social layer of the Ummah, founded on profound heartfelt bonds with the sacred and constructed by saints (awliya) who are faithfully and committedly devoted to responsibility. They are capable, through their commitment and sincerity, of transforming the hierarchical order into a Wilāya-oriented network order. Through the three pillars of faith, affection, and commitment, they constitute the truth of the organizing social institutions in the Ummah-Imamate order-namely, enjoining good and forbidding evil, associating oneself with God's friends (tawallī) and dissociating oneself from God's enemies (tabarrī), and social guardianship (wilāya). In the second section, the role of the Wilāya-oriented society as the focal core of the Ummah-centered order is examined. The article distinguishes between hierarchical order (based on power and coercion) and network order (based on cooperation and empathy), and by delineating the Wilāya-oriented order as a network order, it addresses the transformation of foundational political concepts in light of this redefinition. In the transformation of political obedience and obligation, it examines amorous order in contrast to servile order; and in the transformation of calculative logic, it deals with the behavioral model based on self-sacrifice and acceptance of truth. In governance, the Imam, through the path of hijra (migration), ba tha (prophetic mission), jihad, and shahāda (martyrdom), becomes the exemplar of the Ummah's virtues and organizes the Um mobilization within the framework of mutual rights between ruler and ruled. In politics, the organization of power is founded upon struggle to attain the transcendent and is built on justice, freedom, and spirituality. Wilāya is the synthesis of sovereignty and love, and

stands apart from modern sovereignty (the monopoly of force). Ultimately, politics is centered on preserving justice, not on balancing power.

In the conclusion, the Wilāya-oriented society—the semantic core of the Islamic order—is network-based and amorous, whereas the other layers are hierarchical. The society of Muslims defines boundaries, and the monotheistic society resists tyranny $(t\bar{a}gh\bar{u}t)$. In the ideal model, power relations are organized according to the logic of Wilāya, and Wilāya-oriented actors are the pioneering social agents. This layering shapes the dynamics of international relations in the Islamic world.

Keywords: Ummah, *Wilāya*, global order, Islamic world, international politics.



الحَيَّةُ فِي الْقُالِثِ النِّينَةُ

EISSN: ۲۹۸1-1۷۸۳

المجتمع الولائي والنظام المرتكز على الأمة (علاقة الأمة الإسلامية بالمجتمع الولائي في نموذج النظام العالمي الإسلامي)

مجتبى عبدخدايي 🗓

أستاذ مشارك، قسم العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة علامه طباطبائي، طهران، إيران. Abdkhodaci.mojtaba@gmail.com

الملخص



يتناول هذا المقال دراسة العلاقة بين الأمة الإسلامية والمجتمع الولائي ضمن إطار نموذج النظام العالمي الإسلامي. النموذج المنشود للنظام العالمي، المستلهم من التعاليم الإسلامية، هو "نظام الأمة _ الإمام". ومن جهة أخرى، تؤكد المصادر الإسلامية على نمط من التفاعلات الاجتماعية بين المسلمين يُعرف بـ"الولاية"، وهو ما يشكّل أساس المجتمع الولائي. السؤال المحوري في هذا البحث يتمثل في ماهية النسيج الاجتماعي لنظام القائم على الأمة، وطبقاته، وخصائصه، والعلاقات المتبادلة بينها. ويهدف المقـال إلـي توضيح الطبقـات الاجتماعيـة فـي نموذج الأمة _الإمامة، وتحليل العوامل المكوّنة للنسيج الاجتماعي، ودراسة عمق النمطية في كل طبقة، ودور الطبقات الأعمق في تنظيم الطبقات السطحية، وكيفية إسهام كل طبقة في تشكيل مستويات متميزة من النمطية السلوكية، والهُو يّاتية والوجودية، والتنظيم الاجتماعي. الفكرة المركزية التي ينطلق منها البحث هيي أن نظام الأمة الإمامة هو نظام اجتماعي يتكوّن من طبقتين متداخلتين: مجتمع المسلمين والمجتمع الولائي، ويُعدّ جزءًا من المجتمع التوحيدي. ويشكّل المجتمع الولائي النواة المركزية والمحور الجوهري للأمة، إذ لا يمكن الحديث عن نشوء الأمة دون وجود هذا المجتمع. يطرح هذا البحث فكرة "النظام الشبكي" في مقابل "النظام الهرمي"، ليُسند إلى المجتمع الولائي دورًا يتجاوز كونه أعمق طبقة اجتماعية في نظام الأمة _الإمامة؛ إذ يرتقى بهذا الدور ليجعل من المجتمع الولائي محورًا مركزيًا ونواةً أساسيةً للنظام، ويُبرز مكانته في تحوّل مباحث السلطة، والشرعية، والمفاهيم الأساسية لعلم السياسة ضمن نظام الأمة الإسلامية. وقد اتّبع البحث منهجًا تحليليًا _استنتاجيًا، مستندًا في الرجوع إلى المصادر الإسلامية إلى الأساليب البحثية المعتبرة والمتعارف عليها في دراسة النصوص الإسلامية. يتكوّن المقال من قسمين رئيسيين: يتناول القسم الأول خصائص الطبقات الاجتماعية، بينما يركّز القسم الثاني على موقع المجتمع الولائي في تحوّل المفاهيم السياسية. في القسم الأول، يُعرض المجتمع التوحيدي بوصفه فضاءً يقوم على إيمان

استناداً إلى هذه المقاله: عبدخدايي، مجتبى (٢٠٢٥). المجتمع الولاني والنظام المرتكز على الأمة (علاقة الأمة الإسلامية بالمجتمع الولاني في نموذج النظام العالمي الإسلامي). الحوكمة في القرآن والسنة، ٣(٢)، صص١١٣-١٣٣.

https://doi.org/10.22081/jgq.2025.73087.1053

تاريخ الاستلام: ٢٠٢۴/١١/١٧ ؛ تاريخ المراجعه: ٢٠٢٥/٠١/٠١ ؛ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٢/١٥ ؛ تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠۴/١٠ ؛ © المؤلفون نوع المقالة: مقالة بحثية الناشر: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية



مشترك يتمحور حول العدالة والقسط في تنظيم البنية الاجتماعية، حيث تُضمن حقوق أصحابها وقيمهم على أساس الأمر القدسي. يتشكّل المجتمع الإسلامي ضمن المجتمع التوحيدي، وعلى أساس توضيح الحقوق والقيم وفقًا للشريعة والمنهج الإسلامي. هذا النسيج الاجتماعي يتمتّع بجوهر أعمق من مجرد الإيمـان المشـترك، ويُنـتج ثقافـةً مستقلةً تُسهم في بناء الهوية. وتقتضي هذه المرحلة من التنظيم تحديد حدود التضحية، ونمط التمييز بين الـذات والآخر، ومعايير الصداقة والعداوة؛ وفي ضوء ذلك، يصبح المجتمع الإسلامي قادرًا على رسم الحدود الجغرافية والهووية، وتعزيز التماسك في مواجهة القوى الخارجية، والحفاظ على استقلاله وسيادته على مجاله الخاص. وتُشكّل هذه القدرة أرضيةً للارتقاء بعملية بناء المجتمع من مجرد مسلمين إلى مسلمين مؤمنين، وتحقيق المجتمع الولائي. ومع ذلك، فإن المجتمع المسلم يتكوّن من بنيةٍ تضمّ جزءًا يعيش في حالة من التردد والشكّ الفكري والسلوكي والإيماني؛ ومن ثمّ، فإن تحقيق نظام قائم على الالتزام الداخلي والمسؤولية الجماعية، وهو ما يتطلّبه النظام الشبكي، يُعدّ أمرًا عسيرًا في هذا السياق. وبناءً عليه، يُنظّم المجتمع وفقًا للنظام الهرمي ومتطلباته، لتحقيق منظومة الالتزام والطاعة. يُعدّ المجتمع الولائي النقطة المركزية وأعمق طبقة اجتماعية في بنية الأمة، إذ يقوم على روابط قلبية عميقة مع الأمر القدسي، ويُشكّل ثمرةً لأولنك الأولياء الـذين يتّسـمون بالإيمـان والالتـزام، ويعشـقون المسـؤولية بإخلاص. هؤلاء، بصدقهم وتعهدهم، قادرون على تحويل النظام الهرمي إلى نظام شبكي ولائي، ويُسهمون من خلال الأركان الثلاثة: الإيمان، الألفة، والالتزام، في بناء حقيقة المؤسسات الاجتماعية المنظمة ضمن نظام الأمة _ الإمامة، وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التولي والتبري، والولاية الاجتماعية. في القسم الثاني، يُبحث دور المجتمع الولائي بوصفه محورًا لنظام الأمة. ويُميّز المقال بين النظام الهرمي (القائم على القوة والإكراه) والنظام الشبكي (القائم على التعاون والتآلف)، ويُقدّم تصورًا للمجتمع الولائي باعتباره تجسيدًا للنظام الشبكي، مما يفتح المجال لتحوّل المفاهيم الأساسية في علم السياسة في ضوء هذا التعريف الجديد. في تحوّل الطاعة والإلزام السياسي، يتناول البحث مفهوم "النظام العاشقاني" في مقابل "النظام الاستعبادي"، وفي تحوّل المنطق الحسابي، يُركّز على النموذج السلوكي القائم على الإيثار وقبول الحق. وفي مجال الحُكم، يُصبح الإمام _من خلال مسار الهجرة والبعثة والجهاد والشهادة _قدوةً في الفضائل للأمة، ويُنظِّمها في إطار الحقوق المتبادلة بين الوالي والرعية. أما فيي السياسة، فإن تنظيم السلطة يتمّ في سياق المجاهدة من أجل بلوغ الأمر المتعالى، ويُبنى على أسس العدالـة والحريـة والروحانية. وتُعدّ الولاية مزيجًا من الحاكمية والمحبّة، وهي تبتعد عن نموذج الحاكمية الحديثة القائم على احتكار القوّة. وفي النهاية، تتركّز السياسة على حفظ العدالة لا على موازنة القوى. في الخاتمة، يُنظر إلى المجتمع الولائي بوصفه النواة المعنوية للنظام الإسلامي، وهو نظام شبكي وعاشقاني، في حين تتّسم الطبقات الأخرى بالطابع الهرمي. يقوم المجتمع المسلم بتحديد الحدود، بينما يُقاوم المجتمع التوحيدي الطاغوت. وفي النموذج المثالي، تُنظّم علاقات السلطة وفقًا للمنطق الولائي، ويُعدّ الفاعلون الولائيون روّادًا اجتماعيين في طليعة الحركة. وتُسهم هـذه الطبقات في تشكيل ديناميات العلاقات الدولية في العالم الإسلامي

الكلمات المفتاحية: النظام العالمي الإسلامي، الأمة-الإمامة، المجتمع الولائي، العلاقات الدولية الإسلامية، النظام الولائي الشبكي، الولاية السياسية في النظام الدولي، ديناميات العلاقات الدولية في عالم الإسلام.

117

١. المقدمة

في الرؤية الشائعة بين المفكرين، يُعدّ النموذج المشالي للنظام العالمي المستنبط من التعاليم الإسلامية هو "نظام الأمة - الإمامة . "وعندما تُتخذ "الأمة "أساسًا أو جزءًا من أساس التنظيم والنظام الاجتماعي الكلي، فإن ذلك يعني:

أولًا: أن هذا النموذج يسير من مسار بناء المجتمع نحو بناء الدولة، ويمنح الأولوية الترتيبية لتشكيل المجتمع وإرادة الأمة بخلاف النظام المرتكز على الدولة، الذي لا يشترط فيه تكون المجتمع والنسيج الاجتماعي كركن أساسي في التنظيم الاجتماعي. فالدولة يمكن أن تكون امرا سابقًا على المجتمع، ويُفرض النظام القائم عليها من الأعلى على جماعة معينة، مما يُنتج نموذجًا من الحياة الاجتماعية "المفروضة". في المقابل، فإن نظام الأمة يُعدّ "نظامًا تكوينيًا" يتشكّل وينمو ويتوسع ويترسّخ في سياق بناء المجتمع، وتُبنى جميع نماذجه وقواعده على أساس الإيمان والإرادة الجماعية.

ثانيًا: يُنظّم نظام الأمة على أساس الإيمان، والإيمان هو من جنس الاعتقاد والالتزام والمسؤولية الإنسانية والاجتماعية. لذا فإن نموذج التنظيم الاجتماعي فيه يرتكز على بناء المجتمع وتنمية المعتقدات والإيمان الجماعي. ومن ثم، فإن فهم نظام الأمة يتطلب دراسة كيفية تكوين النسيج الاجتماعي ومراحله وطبقاته المختلفة. فالنماذج الاجتماعية، بحسب قدرتها وحيويتها وفترات ازدهارها، تستطيع أن تُشكّل طبقات متعددة من بناء المجتمع، وتضع الطبقات الأعمق في مركز النظيم الاجتماعي، بينما تُنظّم الطبقات السطحية حولها.

ثالثًا: الإيمان هو أمر تدريجي وطيفي ذو مراتب. فمراتب الإيمان، من الاعتقاد الأولي إلى الالتزام الوجودي العميق والجماعي، تُنتج طبقات اجتماعية مختلفة، ولكل مرتبة نمطها وقواعدها ومستوى خاص من التفاعل الاجتماعي «هُم لِلكُفْرِ يَومَئِذٍ أَقَرَبُ مِنهُم لِلإِيمَنِ» (آل عمران، ۱۶۷). رغم اختلاف مستويات الاعتقاد والتأثير، فإن جميع هذه المراتب تتشكل حول محور الاعتقاد بارتباط الامر السياسي والاجتماعي بالامر القدسي، أو انفصالهما، وتنطلق من حقيقة واحدة. تُثير هذه النقاط سؤالًا جوهريًا: ما هي طبيعة النسيج الاجتماعي لنظام الأمة؟ وما هي طبقاته؟ وما خصائصها؟ وما علاقاتها ببعضها؟ يهدف هذا البحث إلى توضيح الطبقات الاجتماعية المختلفة في نموذج الأمة - الإمامة، وتحليل العوامل المكوّنة للنسيج الاجتماعي، ودراسة عمق ونمط كل طبقة، وتحديد دور الطبقات الأعمق في تشكيل الهوية وتنظيم الطبقات السطحية.

الفكرة المحورية لهذا البحث هي أن نظام الأمة _الإمامة هو نظام اجتماعي يتكوّن من طبقتين متداخلتين: مجتمع المسلمين ومجتمع الولاية، ويُعدّ في مستوى أعلى جزءًا من المجتمع التوحيدي. يُشكّل مجتمع الولاية النواة المركزية للنسيج الاجتماعي للأمة. ومع ذلك، فإن لكل طبقة من هذه

الحَمَّةُ فِي الْقَارِثِ النِّينَةُ

الطبقات خصائصها من حيث النسيج الاجتماعي، ومستوى القواعد، ومأسسة التنظيم، ونوع الفاعلين، ووحدات البناء الاجتماعي. ويسعى البحث إلى بيان عوامل التماسك الاجتماعي وعمق هذا التداخل، وكيف تُنتج كل طبقة أنماطًا متميزة من السلوك والهوية والوجود، وتُظهر مستويات مختلفة من التنظيم الاجتماعي. كما يطرح فكرة "النظام الشبكي" مقابل "النظام الهرمي"، ويُبرز دور مجتمع الولاية في تحوّل مفاهيم القوة والشرعية والمفاهيم الأساسية في علم السياسة ضمن نظام الأمة الإسلامية، يعتمد هذا البحث في فهم خصائص النسيج الاجتماعي لنظام الأمة على المصادر الإسلامية، ويُقدّم عرضه في قسمين: القسم الأول يُعالج خصائص الطبقات الاجتماعية في نظام الأمة _ الإمامة، ويُحدّد قواعد كل طبقة وفقًا لخصائصها. أما القسم الثاني، فيُناقش مكانة ودور مجتمع الولاية كمحور مركزي للأمة، في تحوّل المفاهيم الأساسية للسياسة والحكم في نظام الأمة الإمامة.

٢. الطبقات الاجتماعية لنظام الأمة

تتكوّن الأمة الإسلامية من طبقتين اجتماعيتين، هما: مجتمع المسلمين ومجتمع الولاية. ولكن بما أن الأمة نفسها تُعدّ جزءًا من النسيج الاجتماعي للمجتمع التوحيدي، فإن من الضروري أولًا بيان خصائص المجتمع التوحيدي باختصار، ثم الانتقال إلى دراسة خصائص الطبقتين الاجتماعيتين للأمة الاسلامية.

٢-١. المجتمع التوحيدي: النظام العادل (في مقابل النظام الاستكباري)

المجتمع التوحيدي هو فضاءً يتشكّل من هذا الاعتقاد المشترك، وهو أن محور النظام في تنظيم العلاقات الاجتماعية البشرية يجب أن يُبنى على أساس العدل والقسط (الطباطبائي، ١٣٧٣ش، ج١، ص١٤٧). وبعبارة أدق، فإن العدل والقسط يُعدّان ركنًا تأسيسيًا للنظام. ثانيًا، العدل والقسط يعنيان إيفاء الحقوق لجميع أصحابها (إعطاء كل ذي حق حقه) (السبزواري، بيتا، ج١، ص٤٥؛ الطباطبائي، ١٣٧٣ش، ج١٢، ص١٤٢، وهذا لا يتحقق إلا من خلال نموذج للنظام العالمي تُحدَّد فيه الحقوق والقيم بواسطة معيار حقيقي، أي الأمر القدسي والحق المطلق. أما إذا كانت المعايير غير الإلهية هي والتي تحدد الحق والقيمة، فإن ذلك يؤدي في النهاية إلى ترسيخ البُنى القائمة على القوة والقدرة، ويُستبدل ضمان حقوق جميع الفاعلين الاجتماعيين بجعل مصالح القوى العظمى هي المعيار الحاكم. بناءً على ذلك، فإن هذا الاعتقاد يتكوّن من فكرتين: فكرة سلبية وأخرى إيجابية. الفكرة السلبية تقوم على أن تحديد الحق والقيمة في الشؤون الاجتماعية وتنفيذهما لا يمكن أن يكون بيد مرجعية غير الهية، لأن المراكز غير الإلهية لا تخلو من النزعة النفعية، وهي تقوم بمصادرة هذه الحقوق وتوجيهها وتحريفها بما يخدم مصالحها ويعزز هيمنتها. أما الفكرة الإيجابية، فترتكز على الإيمان بأن الطريق

الوحيد لتحقيق العدل والقسط هو أن يُحدَّد الحق والقيمة في الشؤون الاجتماعية من قبل مصدر فوق بشري، سام وقدسي. فالمرجع الوحيد الذي لا يخضع لمنطق المنفعة البشرية، ويستطيع أن يبيّن الحقوق المنبثقة من كرامة الإنسان وقيمه الإنسانية بعيدًا عن النزعات السلطوية، هو ذلك المصدر القدسي، الذي يجعل من تنفيذ الحقوق والقيم الفردية والاجتماعية محورًا اساسيا لتنظيم العلاقات البشرية، بما يحقق العدالة والحقوق العامة. و عليه، فإن المجتمع التوحيدي هو فضاءً من الإيمان الجمعي بالتوحيد، يقوم على الربط بين الشأن السياسي والاجتماعي وبين الشأن القدسي. ولإرساء هذا الإيمان الجمعي الموحد، يدعو القرآن المجتمعات التوحيدية إلى كلمة مشتركة: «تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَة سَوَاءِ بيننَا وَبينَا وَبينَا الله نخضع لحاكمية القوانين والتنظيمات التي لا تستند إلى الأمر القدسي: «أَلا نَعْبُدَ إِلّا اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْنًا» وثانيًا، ألا نقبل في التنظيم الاجتماعي بالخضوع لسلطة غير إلهية أو القوى المستكبرة: "وَلا يَتَّخِذَ بِعُضُنا بَعْضًا أَزْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ" (آل عمران، ٦٤).

٢-٢. المجتمع الإسلامي/نظام الأمة- الإمامة (في مقابل أمة الكفر)

المجتمع الإسلامي هو فضاءٌ متشكّل داخل المجتمع التوحيدي، ويقوم على هذا الإيمان الجمعي بأن محور القسط والعدل وتحديد الحق والقيمة على أساس الأمر القدسي لا يكفي وحده، بل إن الأمر القدسي يتعيّن في الحقوق والقيم التي يبيّنها "الإسلام"، وإن تحقيق القواعد، وصياغة المناهج، وبناء النماذج التنظيمية هو ما يُفضي إلى إقامة العدل والقسط. هذا الحدث يُنتج فضاءً من الإيمان الاجتماعي لا يكتفي بمجرد رفض الظلم، بل يحمل في طياته طموحًا لتنظيم اجتماعي عادل، وهو طموح لا يتحقق إلا من خلال التشريع والحاكمية الإسلامية. ومن ثم، فإن هذا المجتمع لا يكتفي بالنظام الأدنى الذي يتيح الحياة الإيمانية، بل يسعى إلى النظام الأمثل، أي النظام العادل القائم على الحقوق والقيم الإسلامية. يمكن بيان دلالات هذا النوع من بناء المجتمع في النقاط التالية:

أولًا من حيث عامل النسيج الاجتماعي: النسيج الاجتماعي لهذا النظام يتجاوز مجرد الإيمان التفاعلي بربط الشأن السياسي بالأمر القدسي ونفي انفصالهما، بل إن هذا النوع من النسيج الاجتماعي يتشكّل من الإيمان بنمط خاص من النظام القائم على الأمر القدسي، وفقًا لأمة ومنهج وشريعة ودين خاص يُسمّى الإسلام، ويُبنى أساس المجتمع على هذا الإيمان. ومن هنا، فإن النسيج الاجتماعي لهذا المجتمع أخصّ من النوع الأول، ويقوم على تشكّل جماعي من فاعلين اجتماعيين خضعوا لنموذج خاص من النظام القدسي، أي الإسلام.

ثانيًا: هذا النوع من النسيج الاجتماعي هو ما يُشكّل الأمة. وأهمّ سمة في تكوّن الأمة هي أن جماعةً ما تنظّم نظامها الاجتماعي على أساس محور الشريعة ومنهج خاص يُبيّن نظام الحقوق



والمعايير الاجتماعية: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة، ٤٨)، ومن هنا، فإن الأمة الإسلامية هي جماعة تُدار بالتشريعات الإلهية، والفكر الإلهي، والتشريع والتنفيذ الإلهي (خامنه اي، ١٣٩٢ش، ص٥٤٠).

ثالثًا من حيث عمق واستحكام النسيج الاجتماعي: هذا النوع من الإيمان الجمعي متجذّر إلى درجة أنه اكتسب حياةً مستقلة عن المؤمنين به، وأدى إلى تكوّن ثقافة مشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين. هذا العمق في النسيج الاجتماعي ينقلنا إلى حالة تتجاوز الإيمان المشترك والتفاعلي المرتبط بالمؤمنين، بل هو نوع من الإيمان الجمعي الذي، بسبب جذوره التاريخية والاجتماعية، اكتسب استقلالًا عن مجموع المؤمنين، وحقق وجودًا يتجاوز الفكر والإيمان الجماعي للمسلمين. وبعبارة أخرى، فإن فضاءً إسلاميًا قد نشأ يتجاوز الإيمان المشترك والتفاعلي بين المسلمين، ويُجسّد تكوّن نوع من الإيمان الجمعى والثقافة. والثقافات تُنتج فضاءً:

أولًا: من حيث الوجود: هو أمرٌ مستقل عن إيمان الناس والمؤمنين به. فالفضاء الإسلامي هو وجودٌ ومعنى له حياة مستقلة عن المسلمين. يولد المؤمنون فيه، ويعيشون، ويكتسبون هويتهم، ويتصرّفون وفقًا لهذه الهوية، بل يضحّون بوجودهم وحياتهم من أجله، ويرحلون عن هذا العالم، بينما يبقى هذا الفضاء ثابتًا في رسوخه. وهذا لا يعني أن المؤمنين لا يؤثرون في الثقافة التي يعيشون فيها، بل يعني أن الثقافة والناس هما كيانان مستقلان يتفاعلان ويتبادلان التأثير (ونت، ١٣٨٤، ص٢٠٣).

ثانيًا: هذا الفضاء يدفع العلاقة بين أعضاء هذا المجتمع إلى مستوى يتجاوز التوافق الفكري أو السلوكي في الأساسيات، بل يُنتج نوعًا من التآخي في العقيدة والمشاعر بينهم، ويُصبح مظلةً مشتركة تتيح استمرار التعددية في الأذواق والثقافات الفرعية تحت سقف الحياة المشتركة والجماعية.

ثالثًا: من حيث مستوى النمذجة: هذا المستوى من الإيمان الجمعي، الذي يُؤسس للثقافة المشتركة، لا ينظّم فقط السلوك الاجتماعي المنسجم، بل يُنتج الهوية، ويُشكّل السلوكيات من خلال بناء الهوية. ويُنتج مجتمعات تُحدّد هويتها الاجتماعية بالإسلام، وتُعرّف ذاتها وشخصيتها لا بالعرق أو الدم أو اللون أو القومية أو الأرض، بل بالإسلام (مصباح يزدي، ١٣٨٨ش، ص١٢٠؛ سبحاني، ١٣٩٨ش، ص١٢٦؛ مكارم شيرازي، ١٣٧١ش، ج٢٦، ص١٩٩. ويقيسون حدود "الذات" و"الآخر" من خلاله، ويُحدّدون معيار الصداقة والعداوة بناءً عليه، ويُحسبون منطق المنفعة والعقلانية السلوكية وفقًا لتعاليم الإسلام وقيمه وحقوقه، ويجعلون في النهاية الحقوق والقيم الإسلامية أساسًا وإطارًا لعملهم. وبعبارة أخرى، فإن طبيعة النسيج الاجتماعي للأمة هي أن جماعةً خاصةً تعيش داخل فضاء من الإيمان الجمعي الخاص، وتُحدّد من خلاله هويتها، وأساس التضحية، وأساس المواطنة، وأساس الذات والآخر، ونموذج الصداقة والعداوة، وتتميّز عن غيرها على هذا الأساس.

رابعًا: هذا المستوى من النمذجة يُنتج نظامًا هرميًا، يشمل جميع من شهدوا بالإسلام، واختاروا قانونيًا الانتماء إليه (بغدادي، ١٩٨٧م، ص١٢)، وقبلوا بأن تكون الشريعة وقوانينها أساس تنظيمهم الاجتماعي، ومُنظّمة لسلوكهم، ومُحدِّدة لذاتهم والآخر، ومُبيّنة لأصدقائهم وأعدائهم، ومُشكّلة لهويتهم.

٢-٣. المجتمع الولائي/ نظام الولاية: النظام الإيماني (في مقابل النظام غير الإيماني: النفاق)

المجتمع الولائي هو فضاءٌ متشكّل داخل المجتمع الإسلامي، ويعمل بوصفه بنية اجتماعية-روحية خاصة. هذا الفضاء يتجاوز الإيمان الجمعي والمشترك، ويُنتج نسيجًا اجتماعيًا متميّزًا قائمًا على الالتزام الداخلي بالقيم والحقوق الإسلامية، من خلال الروابط القلبية العميقة والتعاطف الوجداني بين الأعضاء حول محور الإسلام. هذا الالتزام يتجاوز القبول الصوري والظاهري بالأحكام، ويتحوّل إلى إيمان باطني متغلغل في قلوب أفراد المجتمع، يدفعهم إلى الحركة والفعل المسؤول تحت عنوان "القيام لله "والمجاهدة، ويتجلّى في سلوكهم الفردي والجماعي. تُبيّن النصوص الإسلامية أن بنية الأمة الإسلامية تتكوّن من مجموعتين: المؤمنين وغير المؤمنين «وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ» (يـونس، ٤٠). أي أن مجرد الـدخول فـي الإسـلام لا يُكسـب الفرد الكفاءات اللازمة لتشكيل المجتمع الإيماني. فهناك مسلمون لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، رغم أنهم ظاهريًا خضعوا للنظام القائم على حاكمية الأمر القدسي والقوانين الإسلامية، إلا أن هذا الخضوع لا ينبع من الإيمان بحقيقتها، بل قد يكون بدافع الخوف أو الإكراه، أو نتيجة انفعال عاطفي، أو طمعًا في منفعة ومصلحة. «قَالَتِ الْأَغْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات، ١٤). وعليه، فإن المجتمع الذي قبل بالنظام العالمي الإسلامي ويُعدّ جزءًا من الأمة الإسلامية، هو مزيج من المسلمين المؤمنين وغير المؤمنين الذين لا يحملون إيمانًا قلبيًا، بـل خضعوا للإسلام وحاكمية قوانينه فقط. كذلك، فإن الفضاء الاجتماعي الإسلامي قد يكون فضاءً غير إيماني، أي خضوعًا اضطراريًا أو نتيجة حسابات نفعية (الطباطبائي، ١٣٧٣ش، ج١٠، ص٦٧). لكن بناء المجتمع الإيماني يتطلب نسيجًا اجتماعيًا يتكوّن من مؤمنين اجتمعوا عن بصيرة وإيمان بحقيقة النموذج التنظيمي القدسي، ونهضوا بكل وجودهم لتحقيقه. بحيث يصبح الإيمان دافعًا يحوّلهم إلى أفراد مسؤولين ومخلصين، يجاهدون في سبيل تحقيق النموذج التنظيمي الاجتماعي، ويُنتجون بنية اجتماعية وثقافة خاصة تتسم بهذه الخصوصية. وعليه، فإن النسيج الاجتماعي لنظام الولايـة هـو فضـاءٌ يتجاوز الخضوع والانقياد، بل هو تجل للعشق والتفاني، من نـوع وجـودي وقلبـي فـي أعمـق طبقـات المعرفة. وبطبيعة الحال، فإن المختارين من المسلمين، أي المؤمنين، هم الذين يُشكّلون نسيج النظام الولائي، وتُقام بينهم أعمق الروابط الوجودية المتداخلة. ومن هنا، فإن المجتمع الـولائي يُشكّل النـواة



المركزية للأمة الإسلامية، وعلى خلاف المجتمع الإسلامي الذي يتكوّن من مسلمين خضعوا فقط للأحكام الإلهية دون أن يكونوا بالضرورة مؤمنين بها، فإن النسيج الولائي يُنتج فضاءً للأمة الإسلامية يتجاوز مجرد الخضوع للقوانين، بل يقوم على الإيمان بالنموذج التنظيمي، والسعى الوجودي لإقامته.

٣. خصائص المجتمع الولائي: يمكن بيان دلالات هذا المستوى من بناء المجتمع في النقاط التالية

أولًا: عامل النسيج الاجتماعي؛ انّ ما يجعل النسيج الاجتماعي للمجتمع الولائي أعمق من المجتمع الإسلامي هو أن علاقات الأعضاء فيه تتجاوز مجرد الاشتراك في المعتقدات الذهنية، وتقوم على روابط قلبية متينة، بحيث يشعر الأعضاء تجاه بعضهم البعض بمسؤولية والتزام جوهري. ومن ثم، فإن نسيج المجتمع الولائي يتجاوز النسيج الاجتماعي العادي. فالبُني الاجتماعية التقليدية تنشأ من البُني التفاعلية الذهنية والمعتقدات المشتركة، أو من الروابط العاطفية والروحية التي تتكوّن وتنمـو مـن خلال التفاعلات الثقافية والتشابكات الاجتماعية. لكن هذه البُني لا تستطيع أن تُنتج رابطة وجودية بين الأعضاء، تلك الرابطة التي تنبع من العلاقات القلبية وتُنتج التزامًا ومسؤولية عميقة ودائمة بينهم. إن التشابك الاجتماعي في المجتمع الولائي يتشكّل من ارتباط وجودي عميق بين الأعضاء وبين الأمر القدسي بوصفه محور الحق والقيمة، مما يدفعهم جميعًا إلى "القيام لله "لتحقيق العدل والقسط، ويحملون مسؤولية هذا القيام بكل وجودهم. وتُبني تفاعلاتهم على هذا النوع من الارتباط المحوري العميق: «أَن تَقُومُوا لِلَّه مَثْنَى وَفُرَادَى» (سبأ، ٦٤). وعليه، فإن هذا الارتباط أولًا هو ارتباط عميق قائم على التزام وجودي، وثانيًا يُنتج فضاءً فاعلًا يتجلّى فيه "الجهاد والمجاهدة في سبيل الله". النقطة المهمة أن الروابط القلبية نوعان، النوع الأول هو روابط قلبية بين الأعضاء، تكون تفاعلية ومشتركة، تنهار بـزوال الجماعة، ولم تكتسب استقلالًا. النوع الثاني هو روابط قلبية تستمد العلاقة بين الأعضاء من علاقتهم القلبية بمحور وجودي مستقل، بحيث حتى لو تفككت الجماعة، فإن الرابط القلبي يبقى قائمًا بسبب ثبات ذلك المحور الوجودي. هذا النوع الأخير من النسيج الاجتماعي القلبي يتجاوز المعتقد المشترك، ويقوم على رابطة وجودية نابعة من علاقة قلبية (لا مجرد علاقة ذهنية قائمة على الإيمان الجمعي). هذه العلاقة القلبية بين أعضاء المجتمع و"وليّ "عالم الوجود، أي الله تعالى، والحق المطلق، هي التي تُشكّل نسيج المجتمع الولائي. وبعبارة أخرى، فإن أعمق مستوى من الاتصال بين الأعضاء والأمر القدسي يتحقق في المجتمع الولائي: «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» (البقرة، ١٦٥). ذومن هنا، فإن جماعـةً ما قد أقامت أعمق ارتباط لها بمحور واحد يُسمّى الأمر القدسي، بحيث تُستمد باقي الروابط من هذا الارتباط، وتُفهم في ضوئه. فالعلاقات بين الأعضاء تتأثر بعلاقتهم بالمحور الوجودي الواحد، وبالتالي فإن النسيج الاجتماعي الناتج هو نسيج قدسي يتجاوز الإيمان المشترك أو الجمعي. ثانيًا: من حيث عمق واستحكام النسيج الاجتماعي؛ المجتمع الولائي ليس مجرد مجموعة من المؤمنين وأولياء الله، بل هو مُنتِج لفضاء ونسيج ولائي، حيث تكون الروابط القلبية بين الأعضاء انعكاسًا لرابطهم الوجودي مع محور الوجود والأمر القدسي. فالرابط القلبي الذي يُقيمه كل عضو مع الأمر القدسي، والمحورية العاشقة التي يُنتجها هـ ذا الأمر، تجعل جميع المعتصمين بهـ ذا الحبـل الإلهي: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» (آل عمران، ١٠٣). يرتبطون أيضًا ببعضهم البعض برابط قلبي: «وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِئَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (لأنفال، ٦٣). وهذا الرابط والمحبة يُنتجان في الوقت ذاته فضاءً من المسؤولية والالتزام والميثاق، لا ميثاقًا عاديًا، بل عهدًا قلبيًا وجوديًا تجاه التعلُّق بالحق، ومسؤولية أخوية تجاه الأعضاء المجتمعين حول محور الحق، وفي النهاية التزام بـ"القيام" من أجل "إقامة" نظام اجتماعي قائم على العدل والقسط. هذا العهد يجعل أصحابه فاعلين في هذا الفضاء والبنية. في سياق النظام العالمي، و الله الله الله المجتمعات الولائية أعمق وأرسخ (وإن لم تكن بالضرورة الأوسع) طبقة من نسيج الأمة الأمة الاجتماعي. ومن هنا، فإن الولاية في الأمة الإسلامية هي مرحلة التحقق العيني لأعلى درجات بناء المجتمع على أساس الأمة والإمامة.

ثالثًا: الولاية هي مزيج من ثلاثة عناصر؛ الالتزام والمسؤولية، الترابط والاتصال الاجتماعي الأخوي، الوفاء بالعهد والميثاق الإلهي وعليه، فإن المجتمع الولائي الإلهيي هـ و فضاءٌ إيماني يتشكّل نسيجه الاجتماعي من ثلاثة أركان:

أ _الإيمان والاعتقاد القلبي بالولاية الإلهية ونفي ولاية الطاغوت، وهو ما ينبع من الوفاء بالعهد والميثاق الإلهى (النساء، ١٥٥؛ المائدة، ١٣)،

ب _الألفة والتعاطف تجاه محورية الأمر القدسي في التنظيم الاجتماعي، وبالتالي التعاطف مع الآخرين المجتمعين حول هذا المحور،

ج _ الالتزام والمسؤولية التي تجعل الإنسان في المجتمع الـولائي فـاعلًا ومسـؤولًا تجـاه مصـير الآخرين (الأنفال، ٧٢).

ونتيجة لهذا النسيج الاجتماعي، تتشكّل ثلاث مؤسسات اجتماعية رئيسية في هذا المجتمع: أ-الولاية، التي تُنظّم الطاعة والالتزام حول محور الحق والقيم، أي العدل والقسط،

ب ـ التولَّى والتبرّي، اللذان يُحوِّلان الإيمان القلبي والشعور الإيماني إلى مجال الفعل،

ج _ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يُوسّع مجال المسؤولية والالتزام ليشمل المشاركة الجماعية

رابعًا: مستوى النمذجة؛ هـذه الطبقة من النسيج الاجتماعي تُنتج أعمق مستوى من النظام

174

الاجتماعي، لأن النمذجة والنظام فيها تنبع من التناغم بين ثلاث مراحل من النمذجة: التناغم الفكري والإيمان الجمعي، الناغم الشخصي والهووي، التناغم الوجودي الجمعي، الذي يتجاوز المرحلتين السابقتين. هذا التناغم الجمعي يُنتج نمذجة فكرية وعقدية، وسلوكية، وشخصية وهووية، مما يُفضي إلى نمذجة وجودية تُشكّل أعمق مستوى من النمذجة والنظام الاجتماعي.

۴. دور المجتمع الولائي في نظام الأمة

يُعدّ المجتمع الولاني، بالإضافة إلى كونه أعمق طبقة اجتماعية في نظام الأمة، هو المحور والنواة المركزية لهذا النظام. بحيث لا يمكن الحديث عن تشكّل نظام الأمة دون تحقق المجتمع الولاني وتكوّن الحركة التآلفية فيه، تطرح ومن جهة أخرى، فإن محورية المحبة القلبية في المجتمع الولائي وتكوّن الحركة التآلفية فيه، تطرح أمامنا هذا السؤال الجوهري: على أي أساس يُبنى التنظيم الاجتماعي وعلاقات القوة في مثل هذا المجتمع؟ في النظم السياسية الحديثة، يؤدي احتكار مركز القوة والإكراه إلى نشوء نظام قائم على تسلسل الطاعة والإلزام. وفي النهاية، فإن أساس شرعية هذا النوع من النظام القائم على الإكراه هو خضوع وقبول غالبية الناس لهذا الإلزام وتنازلهم عن حرياتهم الفردية والجماعية. ولكن في النظام الولائي، حيث تُستبعد محورية الإكراه والإجبار، كيف ينشأ التنظيم الاجتماعي والنظام من داخله؟ وبعبارة أخرى، كيف يكتسب النظام الولائي القدرة على التنظيم، وعلى أي أساس يُؤسّس شرعية هذه القوة والشرعية والمشاركة السياسيه، وكيفية تحققها في نواة نظام الأمة الإمامة، أي المجتمع الولائي ونظام الولائي. وكيف يخضع الناس لسلطة القوة؟ وكيف يكتسبون الفاعلية والوكالة السياسية في ظل علاقات القوة؟ وفيف ينحضع الناس لسلطة القوة؟ وكيف يكتسبون الفاعلية والوكالة السياسية في ظل علاقات الأمة الإمامة تُحدث تحولًا في المفاهيم الأساسية في مجال السياسة، مثل الطاعة والإلزام، والنظام والتنظيم، والسياسة، والشرعية، والمشاركة.

4-1. النظام الشبكي والنظام الهرمي

قبل كل شيء، من الضروري التمييز من الناحية المفهومية والعملية بين نوعين بـارزين مـن النظـام (Ferguson, 2018, p. 23–30; "، والنظام الشبكي ، والنظام الشبكي وهما: النظام الهرمي وهما: النظام الهرمي يقوم على البُنى العمودية .Albert & et al., 2010, p. 25–35; Faude, 2023, pp. 30–40)

^{1.} Hierarchical Order

^{2.} Network Order

^{3.} Complex Order

المرتكزة على القوة، والإكراه'، والتسلسل التنظيمي. ففي هذا النوع من النظام، تتشكّل العلاقات الاجتماعية من خلال سلسلة من الأوامر والبّنى السلطوية، وتُوزّع القوة بشكل مركّز في قمة الهرم (لاجتماعية من خلال سلسلة من الأوامر والبّنى السلطوية، وتُوزّع القوة بشكل مركّز في قمة الهرم (Lake, 2009, pp. 45-50). في المقابل، فإن النظام الشبكي يقوم على العلاقات الأفقية، والتعاون، والتعاطف الاجتماعي (Lake, 2006, pp. 1-10). وفي هذا النموذج، تكون المحورية في الروابط العاطفية والقيم المشتركة مثل المحبة القلبية أو الداخلية والتعاطف المتبادل ، والعشق والإخلاص الداخلي ، وبحسب التعبير القرآني: الأخوة: «إنّما ألْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات، ١٠). أما نظام المجتمع الولائي، بوصفه قلب نظام الأمة، فإنه يتأسّس على محورية المحبة، والتعاطف، والأخوة الإسلامية. ومن ثم، فهو ليس نظامًا هرميًا قانمًا على القوة والإكراه، بل يُعدّ نموذجًا لا مركزيًا قائمًا على المشاركة الوجودية، ويُجسّد نوعًا من النظام الشبكي. ومع ذلك، فإن محورية الألفة القلبية وتكوّن الحركة التآلفية فيه لا تعني بأي حال من الأحوال نفي الإلزام والطاعة في التنظيم. إذ إن غياب الإلزام والالتزام في التنظيم الإلزام والطاعة ليسا من خصائص النظام الهرمي القائم على القوة والإكراه فحسب، بل يجب التمييز بين الإلزام والطاعة في هذين النموذجين من النظام الاجتماعي. وبعبارة أخرى، فإن أسلوب الإلزام والطاعة في النظام الولائي، القائم على القوة والإكراه.

٣-٢. النظام، القوة والشرعية

٣-٢-١. التحول في الطاعة والإلزام

في النظام الاجتماعي القائم على البنية الشبكية الولائية، يُعاد تعريف مفهوم الإلزام والطاعة تحت تأثير شبكة من المفاهيم المرتكزة على المحبة والتعاطف القلبي، بحيث يبتعد عن الإلزام والطاعة القائمين على الإكراه والقوة، ويتجه نحو طاعة وإلزام نابعين من الحب والالتزام الداخلي. ففي النظم الهرمية، تكون الطاعة غالبًا ناتجة عن الخوف أو الإكراه أو الحسابات النفعية، بينما في النظام الشبكي الولائي، تنبع الطاعة والإلزام من المسؤولية والالتزام القائمين على الإيمان بحقيقة سامية. يمكن ملاحظة هذا التمايز في الفرق بين الطاعة في البُني العسكرية والنظام الثكني، وبين الطاعة العاطفية

^{1.} Coercive Power

^{2.} Cordial Affection

^{3.} Intrinsic Affection

^{4.} Reciprocal Empathy

^{5.} Volitional Devotion

^{6.} Obligation

^{7.} Obedience

مثل العلاقات الأسرية. فطاعة الأبناء لأب عطوف، وطاعة الطلاب لمعلم رحيم يستثمر سلطته، تختلف كثيرًا عن طاعة السجناء لسجان يمارس القوة، أو طاعة الجنود لقائد يمارس السلطة، أو طاعة العبيد لسيد يفرض حكمه على رعيته. ففي النظام العسكري، تكون طاعة الجنود للقائد قائمة على تسلسل هرمي من القوة والإكراه، أما في النظام الأسري، فطاعة الأبناء للوالدين تنبع من علاقات قائمة على الرحمة والرأفة، ومن الإيمان بهذه المحبة والنية الطيبة: الإمام على (ع): واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم (نهج البلاغة، الكتاب ٥٣). النظام الهرمي هو نظام عبودي، والنظام الولائي هو نظام عشقي. ففي النظام الهرمي تتشكّل علاقات الحاكم والمحكوم، الأعلى والأدني، القائد والجندي، الملك والرعية، المستعمر والمستعمر، والدولة والشعب. ومن هنا، فإن الطاعة الناتجة عن التسلسل الهرمي هي طاعة ضعيفة وقائمة على الإكراه، بينما الطاعة والإلزام المنبعثان من التفاني الوجودي والنظام الولائي هما طاعة قلبية نابعة من الاختيار والشوق، وتُنتج نظامًا راسخًا. البنية الشبكية للنظام الولائي لا تُنتج تسلسلات من الأعلى إلى الأدنى لتنظيم المجتمع، بل تُنتج شبكة من التمكين، والمشاركة، والمسؤولية، والالتزام الشامل، المقرون بالحب، والمودة، والتفاني الجماعي، وتُؤسس بذلك نظامًا من التفاني بـدلًا من الخضوع. ومن هنا، فإن العلاقات في النظام الشبكي الولائي هي علاقة الولي والمولى عليه، علاقة المتفانين والعاشقين للحق، علاقة المتواضعين أمام الحق، علاقة القائمين لإقامة الحق، وعلاقة المجاهدين المؤمنين والمتعاطفين في جبهة واحدة. الطاعة والإلزام التي يُبديها هذا الجمع تجاه ولي الأمر تتجاوز الطاعة العادية والخضوع، بل هي نوع من التفاني تجاه ولي أمر فُتح بجهده باب نـزول الأمـر القدسـي، وتحمّل دور الإمامة والقيادة من خلال المجاهدة، وسقى الجميع من هذا الفيض. وكم هو عظيم الفرق بين طاعة نابعة من الحب والتفاني، وطاعة نابعة من الخضوع والاستسلام، كما أن الفرق كبير بين نظام يتفتّح من التفاني، ونظام يتشكّل من الخضوع.

٢-٢-٢. منطق الحسابات في النظام الشبكي

لا شك أن مثل هذا النظام، الذي يسعى إلى بناء وتكوين العدالة في العلاقات الاجتماعية على أساس الحق والقيمة، يحتاج إلى تغيير المعادلات السلوكية السائدة في البُنى القائمة على القوة. يحتاج إلى زعزعة محورية الربح والمنفعة بوصفها المحور الوحيد للتفاعلات (لا إلى إلغائها كمعيار وسمة سلوكية)، ويحتاج إلى استبدال محورية الحب والمودة في التنظيم الاجتماعي، ويحتاج إلى الإيشار والتحرر، ويحتاج إلى اللامركزية (لا إلى نزع القوة) من مركز النظام، ويحتاج إلى تقبّل الحق والخضوع للعدالة: الإمام علي (ع): الحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف. (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦) مثل هذا النظام، ومثل هذا الإيثار، لا يتحقق إلا بالتفاني.

٢-٢-۴. التحول في الحُكم والسيادة

إن الإلزام والطاعة في النظام الهرمي يكتسبان معناهما من خلال تشكّل تسلسل هرمي من العلو والدونية. أما في النظام الشبكي، فإن الإلزام والطاعة يُعرّفان ضمن علاقة التزام يُقيمها الأعضاء والوحدات فيما بينهم ومع الحق والقيمة. ومن هنا، فإن الجميع، من الإمام إلى الأمة، في ذروة الطاعة والالتزام بمحورية الحق والقيمة التي يُبيّنها الأمر القدسي. فالله هو الولى المطلق للمؤمنين، سواء كانوا إمامًا أو أمة، والحركة الإيمانية تتشكّل حول محور الحق والعدالة، ويُبنى أساس الإلزام والشرعية على هذا المحور. وبالتالي، يتشكّل نظامٌ يقوم على عِزّة الحق وسُلطته، بوصفه النقطة المحورية في علاقة الإمام بالأمة: «عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦). في مثل هذا النظام، لا يُطرح أصلًا ثنائية الدولة والشعب، ولا صراع السلطة بينهما، بحيث يُبحث عن حل لتعارض الديمقراطية مع السلطوية. بل إن علاقة الإمام بالأمة هي علاقة "ولائية" قائمة على الأخوة، والألفة، والمحبة، وتدور حول محور حاكمية الحق والقيمة. في هذا النظام، يُقطع أولًا رأس التسلّط الاستكباري والعبوديات الزائفة القائمة على القوة والإكراه. فالعبودية لا تكون إلا حول محور الحق. ويُصبح الحق عزيزًا على جميع أفراد المجتمع والعاملين فيه، ويُخضع الجميع أعناقهم لعبودية الحق. وفي ساحة العبودية الإلهية، تكون علاقة العبد بالمولى علاقة محبة وعشق، وعلاقة الطاعة والانقياد قائمة على الجاذبية والولاء، ذلك الولاء الذي يسمو بالروح، ويُهذَّبها، ويُحدِّد علاقاتها الأبدية. ومن هنا، كما أن الدنيا مسجد جميل لأولياء الله، فإن ساحة السياسة والمجتمع هي أيضًا معبد إلهي. فكون الحق عزيزًا يجعل علاقة الإنسان بالله علاقة عشق، ويضع هذه العلاقة في مركز سائر العلاقات. وفي ظل هذه العلاقة، تكتسب العلاقة مع الآخرين، ومع الطبيعة، ومع الحيوانات، ومع البيئة، ومع النباتات، معنَّى، وتتشكّل مراتب من المحبة والعشق. ولا يمكن لنظام كهذا أن يجعل من الحب والمودة أساسًا لتنظيم العلاقات في مجال السلطة ومحورية النظام الاجتماعي، إلا إذا كان متصلًا بالأمر القدسي، وكان الحق عزيزًا. وعلى هذا الأساس، يتشكّل نوعان من الإيمان: الإيمان الإلهي: الذي يُنتج مجتمعًا قائمًا على الحب والألفة. الإيمان المنفصل عن الأمر القدسي، أي الكفر: الذي يُنتج مجتمعًا قائمًا على القوة، والإكراه، و الربحويه. فقط الإيمان الإلهي والأمر القدسي هما القادران على إنتاج إيمان عاشق. أما سائر أشكال الولاء، فهي إيماناتٌ منفصلة عن الأمر القدسي، مادية، نفعية، خالية من الحب والمودة، إيمانات زائفة، إيمانٌ بالأهواء السلطوية، وعبوديةٌ لطغيانهم، وإيمانٌ بالطاغوت. أما الإيمان القدسي، فهـ و إيمـانٌ عاشق يُحرّر الإنسان من التعصّب، ويجعله مؤمنًا، ناصحًا، مشفقًا. وهو إيمانٌ عارف يُحرّره من أسر القوة والإكراه، ويجعله عاشقًا، مجتهدًا، مجاهدًا. وهو إيمانٌ خاشع يُحرّره من عنف السلطة، ويجعل صاحب السلطة عادلًا، مناضلًا، محرّرًا، ويُرسّخ في النهاية نظامًا عادلًا ومحرّرًا.

١٢٨ الحَمَةُ فِي الْقَارِّ الْمِيْنَةُ

٣-٢-٢-١. المسؤولية والالتزام في المجتمع الولائي

من خلال ما سبق، تتجلَّى الولاية بمعنى واحد في مصداقين ومستويين لا انفصام بينهما. المستوى الأول هو الولاية العرضية، أي العلاقة الولائية التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي بعضهم ببعض، وهمي مسؤولية والتزام نابعان من الألفة والتعاطف بين أفراد الأمة في علاقتهم المتبادلة. المستوى الثاني هـو الولاية الطولية، أي العلاقة الولائية التي يُقيمها العاملون في النظام مع أفراد المجتمع الإسلامي، وهمي أيضًا مسؤولية والتزام متبادلان، ينبعان من الألفة والتعاطف بين الناس والعاملين في الشأن العام (جوادی آملی، ۱۳۷۸ش، ص۱۳۷۸؛ مصباح یزدی، ۱۳۷۹ش، ص۲۳۵-۲۳۳؛ خامنه ای، ۱۳۹۲ش، ص٠٤٥). هذا التوحيد في التعبير على المستويين ليس أمرًا عفويًا أو اعتباطيًا، بل هو تعبير عن طبيعة النظام الشبكي لنظام الأمة، ودور المسؤولية في النظام الاجتماعي الإسلامي. ففي كلا المستويين، تكمن أركان الولاية الثلاثة: الإيمان، الالتزام، والعشق (الألفة)، وفي ظل هذه الأركان، يُفهم معنى العامل، والوالي، والمسؤولية، والالتزام، والفعل الاجتماعي، وتُنظّم علاقات القوة. في كلا المرحلتين من الولاية، يكون جميع أفراد المجتمع مسؤولين؛ مسؤولين عن تحقيق الحق والقيمة التي يُبيّنها الأمر القدسي. ومن هنا، فإن الإمام في الولاية الطولية مسؤول عن تنظيم المجتمع وفقًا للأمر القدسي، كما أن الناس مسؤولون عن دعم دور الإمام في إقامة الحق والقسط. في هذا التصور للنظام الـولائي، وعلى خلاف النظام الحديث، لا يُعرّف موقع الإمام والمسؤولية بوصفه رأسًا في تسلسل هرمي من القوة والإكراه، بل يُنظر إلى الإمام بوصفه الولى الإلهي، مركزًا للفضيلة، والرأفة، والقيادة. فالإلزام والشرعية يُعرّفان على أساس حاكمية الفضيلة. وبعبارة أخرى، فإن النظام الشبكي، وإن كان ينفي التسلسل الهرمي القائم على القوة النفعية، والهيمنة، والسيطرة، إلا أنه يقوم على تسلسل هرمي من الفضيلة، ويُنظِّم علاقات القوة حول هذا المحور. فضيلةٌ تتشكّل وفقًا لمبادئ الهجرة، والبعثة، والجهاد، والشهادة.

٣-٢-٢-٢. الإمامة، والهجرة، والبعثة، والجهاد، والشهادة

الإمام هو الوليّ الإلهي الذي استطاع أن يتجاوز الأنانية والمصالح الشخصية، ويبدأ "هجرةً" من أعماق ذاته، وينهض وحده للقيام لله، ويخوض "الجهاد الأكبر" في مواجهة القوي الشيطانية في داخله، ليُفرغ موقع السلطة من النزعة النفعية والمصلحة الذاتية. وعندما يبلغ الإنسان هذه المرحلة، يصبح قادرًا على وصل الأرض بالسماء، وفتح نافذة السماء أمام أهل الأرض، وتوفير أسباب نزول الوحى والاتصال بالأمر القدسي، فيتصل به، ويصبح مولعًا بأن يتصل الآخرون بـ كـذلك. الـوليّ الإلهي، من خلال هجرته من ذاته نحو ربِّه، يُحقِّق "البعثة"، ويفتح بـاب السـماء لنـزول "الميـزان" والمعيار الذي يُبيّن الحق والقيمة، أي الركن المؤسس للنظام المجتمعي القائم على العدل والقسط.

179

ولولا هو، ولولا مجاهدته وتهذيبه، لكانت يد المجتمع خالية من أي معيار لتمييز الحق من الباطل. ومن هنا، فهو أسبق الناس في جعل الحق والعدل محورًا للحياة، ولأنه هاجر، وبُعث، وقام لله وجاهد، واتصل بالأمر القدسي، فإنه يستطيع أن يكون قدوةً، وأسوةً، ورائدًا، وإمامًا، وشاهدًا على حركة الأمة نحو الأمر القدسي، ويستطيع أن يُنظّم مجتمعًا نموذجيًا يكون بدوره شاهدًا على المجتمعات الأخرى. ومن هنا، فإن "الشهادة" تؤدي دورًا تكميليًا للمفاهيم الكلية، فتُقدّم الأسوة والنموذج العيني أمام أعين الآخرين، وتستدعى الجميع ليكونوا شهودًا على تشكّل جبهة الحق والباطل، وتُقدّم معيارًا للتقييم، ليحكم كل فرد على نفسه: في أي جانب من التاريخ يقف؟ ومن هنا، فإن الإمام هو بنفسه شهيد، والأمة الإسلامية شهيدة على سائر الأمم: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة، ١٤٣)، إن تشكّل هذا المسار من الهجرة، والبعثة، والجهاد، والشهادة، بالنسبة للأسوة المتصلة بالأمر القدسي، يُتيح فرصةً لتنظيم هجرة اجتماعية، وبدء حركة لبناء ةُ قِيْلَ اللَّهِ اللَّهِ المجتمع، وهجرةٍ تأسيسية تُخرج جماعةً من حالة الاستخفاف وسيطرة الآلهة الزائفة، نحو بناء حالـة مثالية للحرية الإنسانية. وهكذا، فإن "الهجرة هي نقطـة البدايـة فـي بنـاء الأمـة." فالأمـة هـي جماعـةٌ اجتمعت بوعي حول قيادة الإمام، وعزمت على الهجرة من البُني الاجتماعية الجاهلية القائمة على الانفصال عن الأمر القدسي، من أجل بناء مجتمع مثالي قائم على استخلاف الإنسان، والتحرر من استخفاف الطاغوت، والقيام لله. ومن هنا، فإن بدأية نظام الأمـة والإمامـة لا تكـون بالبعثـة، ولا بـولادة النبي، بل تبدأ بالهجرة. وفي داخل هذا النظام، تبرز أمةٌ متحرّرة، أمةٌ تقوم علاقاتها الاجتماعية لا على أساس النفعية واغتصاب الحقوق، بل على أساس العدل والقسط، وفيي هذا النظام تتحقّ ق الولاية الإلهية، لأنها هي التي تستحق أن تمسك بزمام القوة و"الحديد"، وتُنظّم الأمة وفقًا للميزان والفرقان، من أجل تحقيق العدل والقسط، وتشكيل النظام الاجتماعي.

٣-٢-٢-٣. الاقتدار أو القوة

من خلال ما سبق، يمكن إدراك أن الإيمان الإلهي يجعل الحب والعشق الـولائي محـورًا لعلاقـات القوة، وذلك باقتلاع أعشاب الجشع والمادية، وبتحرير الإنسان من ارتباطاته الأنانية، ليزرع نـواة الحـب في العلاقات، ويُقيم أساسها على الألفة والأخوة. وتبلغ هذه الزراعة ذروتها في علاقة الأمة بالإمام؛ الإمام الذي بسط يديه لهداية الناس، ولكن قبل يديه، امتلاً قلبه بمحبة الناس. إنه ذلك الذي استطاع أن يملأ قلبه بالرحمة تجاه الخلق: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم» (نهج البلاغة: الكتاب ٥٣) ويُخفض جناح الرحمة تواضعًا لمن تبعه من المؤمنين: «وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَن أَتَبَعَكَ مِنَ أَلْمُؤْمِنِينَ» (الشعراء، ٢١٥)، ويُسخّر كل شفقته، ومواساته، وتعاطفه الوجودي في سبيل سعادتهم، وكأن روحه تخرج من جسده في هذا السعي: «لَعَلُّكَ

بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» (الشعراء، ٣). في النظام الولائي، فإن وليّ الأمر، بوصفه محور هذا النظام، يتحمّل مسؤولية تدبير الأمور، لكن مكانته لا تنبع من قدرته على طلب السلطة أو الجشع، بـل من قلب مملوء بالمحبة، ومن شفقةٍ شاملة تجاه أفراد المجتمع، حتى غمرته إرادة الخير للناس. «فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، وولى الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك» (نهج البلاغة: الكتاب ٥٣) ويشعر الناس بطعم هذا الأنس والمحبة الأبوية بكل كيانهم، يلمسونه، يتذوقونه، ويثقون به. ومن هنا، فإن تصرفاته في القيادة تُعدّ من نوع تصرفات المحبوب في حياة من يحبونه، ويُقبلون عليها. وهذا النوع من الإلزام والطاعة، الذي ينبع من التفاني والشوق الداخلي، يُفضي إلى نشوء نظام راسخ وأصيل، حيث تتحوّل العلاقة بين وليّ الأمر والمجتمع إلى نوع من التفاني الوجودي، يتجاوز الطاعة التقليدية.

٣-٢-۴. التحول في السياسة

إذا كانت الحقيقة السامية التي يسعى الإنسان لبلوغها أمرًا قدسيًا، وإذا كان بلوغ هذا الأمر الروحيي مشروطًا بالفعل والتنظيم في المجال الدنيوي، فإن تنظيم العلاقات الاجتماعية، بما في ذلك علاقات القوة، يُصبح ذا أهمية في مسار الإنسان نحو الأمر السامي. ومن هنا، فإن السياسة، بوصفها كيفية تنظيم الشأن الاجتماعي في علاقات القوة، تكتسب معناها من ارتباط القوة بالأمر القدسي وطريقة تنظيمها. في نظام الأمة _ الإمامة، تُعدّ الدولة والحكومة جهدًا لتنظيم المجتمع وضبط العلاقات في مجال القوة، لكن هذا الجهد يتم في فضاءٍ تم تأسيسه بوصفه مسجدًا ومعبدًا. فالمسجد أُسس ليمنح أرواح البشر فرصة للسمو والارتقاء، لينتقلوا من تراب الأرض إلى آفاق السماء، ويجعلوا من الحياة المحدودة زادًا للحياة الأبدية. ومن الطبيعي أن يكون تنظيم القوة في فضاءٍ روحاني كهذا مختلفًا جوهريًا عن تنظيمها في قصر بُني على أساس السلطة والمنفعة، كما أن المبادئ الحاكمة في كلا الفضاءين تختلف كذلك. فالمبادئ الأساسية للسياسة التي تُفرش على بساط المسجد، وتُعدّ فرصةً للارتقاء الأبدي للمجتمع الإنساني، هي: العدالة، والحرية، والروحانية. أما السياسة التي ترتكز على عرش القصر والسلطنة، فمبادئها هي: ترسيخ القوة، والهيمنة، والسيطرة. الأولى تُبنى على صون العدالة والحرية والمسؤولية من أجل سمو الروح البشرية، والثانية تُعرّف على أساس ضمان الهيمنة، والسيطرة، وإقصاء أو موازنة الخصوم الأقوياء. نظام الأمة يمنع منذ البداية أن تتحوّل السياسة إلى قصر للسلطة، كمي لا يُضطر في تنظيمه الاجتماعي إلى التركيز على ضبط علاقات القوة بدلًا من تنظيم العلاقات على أساس الألفة والأخوة، وتربية الإنسان. ومن هنا، فإن السياسة في النظام الولائي لا تُفسّر بالقوة والسيادة، بل بالولاية والتعاطف: «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (القصص، ٨٣). ومن خلال ذلك، يتضح أن استخدام مصطلح "الولاية" بـدلًا مـن "الحاكمية" في الأدبيات الدينية لم يكن أمرًا اعتباطيًا، بل اختيارًا واعيًا نابعًا من بصيرة، يُدرك انحرافات السلطة وتمرداتها. فالولاية مفهومٌ أعمق بكثير من الحاكمية، والملكية، والسلطة، والقوة، وليس عبثًا أن يُعبّر عن مقام الحاكمية بالولاية. وعليه، رغم أن بعضهم فسّر "الولاية "بــ"السلطان والملك"، أي السيطرة والحاكمية (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٢، ص٤٨٦؛ أبوالبقاء، ١٤٣٣ق، ص٣٤٣)، وبعضهم فسّر "الولى" بأنه الأحق بالتصرف في الأمور (دانش يـژوه، ١٣٣٩ش، ص١١٧؛ البيهقي، ٢٠٢٠م، ص٢٦)، وآخرون أضافوا إلى المعنى الأول معنى "الصداقة والمحبة" (استرآبادي، ١٣٨٢ش، ج٢، ص٢٥١)، بل إن بعضهم، لتبرير انحراف الحكم في تاريخ المسلمين، ركِّز فقط على المعنى الثاني، فإن الأدق هو أن الولاية هي تركيبٌ من الحاكمية (الرعاية) والمحبة (العلاقة، الألفة). أي أن الولاية ليست أي نوع من الحاكمية، بل هي حكمٌ قائم على المحبة الاجتماعية والارتباط القلبي بين الإمام نُوْ الْقَالَ اللِّينَةُ والأمة. وهنا، تبتعد الولاية كثيرًا عن الحاكمية بمعناها الحديث. فالحاكمية في الدولة الحديثة تُعرّف على أساس احتكار استخدام القوة وتنظيمها، أما الولاية في نظام الأمة _الإمامة، فتُبني على طاعة نابعة من المحبة، وتسليم نابع من الولاء، وتنظيم قائم على الألفة. ومن هنا، فإن ركنها الأساسي هو تحمّل المسؤولية. الحاكمية تُمارَس بالقوة فوق الرؤوس، والولايـة تنفـذ فـي القلـوب. الحاكميـة تُنـتج طاعـةً بالخوف، والولاية تُنتج خشيةً بالمحبة، وتسليمًا بالتعلُّق. ومن هنا، فإن مسؤولية تـدبير الأمـور مـن قبـل الولى، والسلطة والشرعية التي يمتلكها، تختلف جذريًا عن السلطة الهرمية للدولة. فالطاعة والإلزام في الدولة الحديثة تقوم على سلطة هرمية، وعلى احتكار أدوات القوة بيد الدولة الفيبريه (ماكس فيبر)، أما في النظام الولائي، فإن السلطة تقوم على المحبة، واللطف، والعلاقة العميقة مع الناس. الولاية هيي ارتباطٌ قلبي بين أفراد المجتمع، وبين المجتمع والمسؤولين، قائم على الالتزام والمسؤولية والميثاق مع الأمر القدسي، في مجتمع بلغ بكامل كيانه إلى الإيمان بالحاجة والاضطرار إلى الأمر القدسي. وفي مثل هذا المجتمع، تختفي جميع الثنائيات: الملك والرعية، الدولة والشعب، الأعلى والأدنى، التي تُعرّف في النظام الحديث، الإمبراط وري، العلم اني، والهرمي، ويُقام نظامٌ إلهيٌّ ولائم قائم على المحبة. نظامٌ فيه الإمام والأمة ينظّمون علاقات القوة من خلال حركة ذاتية، من الداخل إلى الخارج، من السيطرة على الذات إلى السيطرة على الآخر، حركةٌ قائمة على الجهاد الأكبر، وربط الجهاد الأصغر بالجهاد الأكبر. وفي هذا النظام وحده، يمكن "للسائل أن يجلس قبالة الملك." ومن هذا المنظور:

أولًا: رغم أن السياسة هي مجال تنظيم العلاقات والسلطة، إلا أن هذا التنظيم لا يُفهم بالقوة، بل بالأمر السامي، وبالفضاء الذي يُعدّ حفظه شرطًا لبلوغ ذلك الأمر. ومن هنا، فإن السياسة هي تنظيم

علاقات القوة من أجل حفظ هذا الفضاء، ومن أجل بلوغ هدفٍ ومعنى يتجاوز القوة نفسها، وتُصبح القوة أداةً لبلوغ ذلك الهدف.

ثانيًا: مركز السياسة هو حفظ العدالة، والحرية، والمسؤولية، وليس تثبيت أو موازنة القوة.

ثالثًا: السياسة هي بناءٌ وتطهيرٌ مستمرٌ لصرحٍ لا يتحقّ ق إلا بالولاية، أي الحاكمية القائمة على المحمة.

رابعًا: الجميع لهم نصيبٌ في هذا السمو الروحي، وهذا الارتقاء الإنساني يحدث لكلٍ من المأموم والإمام، ولهما حقوق ومسؤوليات تجاهه.

فالذي يُميّز مجال السياسة بوصفه مجالًا لعلاقات القوة عن سائر مجالات العلاقات الاجتماعية، ليس مركزية احتكار القوة، بل إن هذا المجال، كغيره، هو ممرٌ لسمو الروح.

۵. النتيجة

1. المجتمع الولائي بوصفه نواة المعنى للنظام الإسلامي يُعد المجتمع الولائي مركزًا معنويًا ونموذجًا للأمة الإسلامية، ويُجسّد الصورة المثالية لمبادئ وقواعد ونماذج النظام الإسلامي. هذا المجتمع، من خلال تجسيده لحقيقة وعمق التنظيم الإسلامي، يُقدّم النموذج الأمثل للنظام الإسلامي. ومع ذلك، فإن غياب تحقق المجتمع الولائي، بغض النظر عن كميته ونوعيته ومراتبه، يجعل الحديث عن تحقق الأمة والنظام الإسلامي أمرًا إشكاليًا. ومن منظور العلاقات الدولية، يُعدّ المجتمع الولائي أعمق طبقة اجتماعية مُشكّلة للهوية، ويُضفي المعنى على النظام والأمة الإسلامية، ويعمل كمحور مركزي في مواجهة النظم المنافسة.

7. مراحل تطور بناء المجتمع في النظام الإسلامي إن بناء المجتمع هو عملية تدريجية تتشكّل في سياق طبيعي وتطوري. وفي مسار بناء الأمة الإسلامية، تمر المجتمعات والأفراد بثلاث مراحل اجتماعية، وينتج عنها ثلاث طبقات اجتماعية: المجتمع التوحيدي، مجتمع المسلمين، والمجتمع الولائي. ومن البديهي أن لكل طبقة بنية نموذجية خاصة بها تختلف عن الطبقات الأخرى، وتتناسب مع مراحل تطورها ومصالح النظام والتنظيم العام. ويُعدّ المجتمع الولائي ذروة هذه العملية، ويُقدّ منوذجًا مثاليًا قائمًا على مبادئ الولاية. أما الطبقتان الأخريان، فتمتثلان لقواعد ونماذج تتناسب مع مستوى تطورهما. هذا التمايز في البُنى الاجتماعية يُتيح تحليل ديناميكيات العلاقات الدولية في المجتمعات الإسلامية، حيث يمكن لكل طبقة أن تلعب دورًا مختلفًا في التفاعلات الإقليمية والعالمية، ويُمارس النظام الهرمي للأمة، تحت النظام الشبكيًا للولاية وقيادته، من جهة علاقات القوة، ومن جهة أخرى إدارتها وضبطها، مما يُنتج نظامًا شبكيًا معقدًا.

٣. التمييز البنيوي والوظيفي بين المجتمع الولائي ومجتمع المسلمين يُعدّ المجتمع الولائي،

بوصفه نقطة كمال النظام الإسلامي، قائمًا على نظام شبكي وعشقي، يرتكز على الالتزام الداخلي، وتحمل المسؤولية، والخدمة الإيمانية، ويُبنى على مبادئ الولاية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتولي والتبري. هذا النظام الشبكي، بخلاف البني الهرمية، يُركّز على التعاون والتكامل القائمين على الإيمان. أما مجتمع المسلمين، الذي يتكوّن من مؤمنين وغير مؤمنين، فهو يُجسّد النظام الهرمي القائم على الشريعة الإسلامية. فمجتمع المسلمين يُتج مسلمًا، بينما المجتمع الولاني يُنتج أولياءً مؤمنين ومخلصين في خدمتهم ومسؤوليتهم، قادرين على تحويل النظام الهرمي إلى نظام شبكي ولائي. مجتمع المسلمين يضم جماعة لا تزال بنيتها الاجتماعية تعيش حالة من التردد الفكري والسلوكي والإيماني، وبالتالي لم تبلغ بعد مرحلة النظام الشبكي ومتطلباته. ومن هنا، لا يمكن تحقيق نظام قائم على الالتزام الداخلي الجماعي، ويُنظّم وفق النظام الهرمي ومتطلباته في الالتزام والطاعة، والتمسك بالشريعة والقوانين الإسلامية، وتحقيق الحاكمية الإسلامية. ومن منظور العلاقات الدولية، فإن مقتضى هذه المرحلة من التنظيم هو تحديد حدود التضحية، ونموذج الذات والآخر، ونموذج الذات والآخر، ونموذج الخاوة والعداوة. وبالتالي، فإن الطبقة الاجتماعية للمسلمين، من خلال إنشاء شبكات قائمة على الأخوة الإسلامية، قادرة على تحديد الحدود الجغرافية والهووية، وتعزيز التضامن في مواجهة القوى الخارجية، والحفاظ على استقلال وسيادة المجال الإسلامي. وهذه القدرة تُمهّد الطريق لترقية بناء مجتمع المسلمين إلى مجتمع مؤمن، وتحقيق المجتمع الولائي.

3. المجتمع التوحيدي ودوره في النظام الإسلامي المجتمع التوحيدي هو طبقة أخرى من النظام الإسلامي، يتكوّن من موحدين يتميزون بخصيصتين أساسيتين: أولًا، قبول التنظيم الاجتماعي القائم على الأمر القدسي والأحكام الإلهية؛ ثانيًا، النضال الفاعل ضد الطاغوت، أي النظم التي تنظم المجتمع بانفصال عن الأمر القدسي. هذا المجتمع، من خلال خروجه من هيمنة الطاغوت ودخوله في نطاق الولاية الإلهية، يلتزم بالدين الحنيف ويخضع للأمر القدسي. ومع ذلك، وبسبب غياب الإيمان الكامل والتردد في طبيعة الأمر القدسي، فإن النظام السائد فيه لا يزال هرميًا وقائمًا على الشريعة الإسلامية. ومن منظور العلاقات الدولية، يمكن للمجتمع التوحيدي أن يعمل كقوة مقاومة في مواجهة النظم العلمانية أو الطاغوتية، لكنه بسبب ضعف الإيمان والدين، يخضع للنظام الهرمي القائم على حاكمية الشريعة الإسلامية ومتطلباتها.

0. في النموذج المثالي لنظام الأمة _ الإمامة، تُنظّم علاقات القوة المحورية وفق منطق الطبقة الاجتماعية الولائية. ومن الاجتماعية الولائية الفاعلون الرئيسيون في علاقات القوة هم نشطاء الطبقة الاجتماعية الولائية. ومن خلال ما سبق، يتضح أن في إطار النظام الإسلامي، يُعدّ المجتمع الولائي معيارًا ونموذجًا مثاليًا، ويؤدي دورًا محوريًا في تشكيل وتثبيت النظام الإسلامي، بينما يُعدّ المجتمع التوحيدي ومجتمع

المسلمين مراحل تمهيدية تُمهّد للارتقاء إلى هذا المستوى. هذا التصنيف الطبقي يُشكّل ديناميكيات العلاقات الدولية في العالم الإسلامي، حيث تؤثر الفروقات في نماذج التنظيم والالتزام على التفاعلات الداخلية والخارجية للمجتمعات الإسلامية.

۱۳۵

المصادر

القرآن الكريم.

النهج البلاغه.

ابوالبقاء، ايوب بن موسى (١٤٣٣ق). الكليات، معجم في المصطلحات و الفروق اللغه. قم: ذوالقربي. استرآبادي، محمد جعفر بن سيف الدين (١٣٨٢ش). البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة. قم: بوستان كتاب (انتشارات دفتر تبليغات اسلامي)، ج٢.

بغدادى، عبدالقاهر بن طاهر (۱۹۸۷م). الفرق بين الفرق و بيان الفرقه الناجيه منهم. بيروت - لبنان: دارالجيل. البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (۲۰۲م). الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. سوريا: دار التقوى. جوادى آملى، عبدالله (۱۳۷۸ش). ولا يت فقيه: ولا يت فقاهت و عدالت (ولا ية الفقيه: ولا ية الفقاهة والعدالة). اسراء.

خامنه اى، سيد على (١٣٩٢ش). طرح كلى انديشه اسلامى در قرآن (الخطة العامة للفكر الإسلامي في القرآن). صهبا.

دانش پژوه، محمدتقى؛ مشكوه، محمد (١٣٣٩ش). معتقد الإمامية. تهران: دانشگاه تهران.

الزمخشري، محمود ابن عمر (١٤٠٧ق). الكشاف عن حقائق التنزيل. بيروت: دارالمعرفه، ج٢.

السبزواري، الملاهادي (بي تا). شرح الأسماء الحسني او شرح الجوشن الكبير. بيدار، ج١.

الطباطبائي، السيد محمدحسين (١٣٧٣ش). الميزان في تفسير القرآن. اسماعيليان، ج١، ١٢، ١٠.

مصباح یزدی، محمدتقی (۱۳۷۹ش). آفرخشی دیگر از آسمان کربلا (صاعقة أخری من سماء کربلاء). قم: موسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی.

مصباح يزدى، محمدتقى (١٣٨٨ش). نگاهى گذرا به حقوق بشر از ديادگاه اسلام (نظرة موجزة إلى حقوق الإنسان من منظور الإسلام). قم: موسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى.

مكارم شيرازى، ناصر (١٣٧١ش). تفسير نمونه (الأمثل في تفسير القرآن). دارالكتب الاسلاميه، ج٢٢.

ونت، الكساندر (١٣٨٤ش). نظريه اجتماعي سياست بين الملل (النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية). تهران: دفتر مطالعات سياسي و بين المللي.

Albert, M., Cederman, L.-E. & Wendt, A. (Eds.). (2010). *New systems theories of world politics*. Palgrave Macmillan.

Faude, B. (2023). The institutional topology of international regime complexes: Mapping inter-institutional structures in global governance. Oxford University Press.

Ferguson, N. (2018). The square and the tower: Networks and hierarchies and the struggle for global power. Penguin Books.

Harrison, N.E. (Ed.). (2006). *Complexity in world politics: Concepts and methods of a new paradigm.* State University of New York Press.

Lake, D.A. (2009). Hierarchy in international relations. Cornell University Press.

